محددات ونظريات استغلال المجال الفيزيقي
في الوسط الريفي- دراسة نظرية تحليلية-

Determinants and theories of exploitation of the physical field
In the rural setting - an analytical theoretical study -

سليمة عبد السلام*
جامعة المسيلة
Salima Abdeslam
University of Msila
salima.abdeslam@univ-msila.dz

عمر بوسكرة
جامعة المسيلة
Amar Boussakra
University of Msila
AMAR.BOUSSAKRA@univ-tiaret.dz

تاريخ الاستلام: 2019/11/20 تاريخ القبول: 2020/10/28 تاريخ النشر: 2021/09/20

- **الملخص:** تتنوع الدراسات السوسيولوجية بتنوع ميولات وتخصصات الباحثين في اختيار مواضيعهم التي تعكس بدورها جزءا من اهتماماتهم العلمية والثقافية في كثير من الأحيان، فجل الدراسات السوسيولوجية التي تناولت موضوع تنميط المجتمعات ركزت في جوهرها على طبيعة البناء الاجتماعي والثقافي والعلائقي للأفراد، هذه المجتمعات وذلك لتفسير بعض الظواهر الاجتماعية كطبيعة البناء الأسري ووظائف الأسرة، وأهم الأنظمة الاجتماعية كنظام الزواج وطبيعة الأنشطة الاقتصادية والمشكلات الاجتماعية وضبط الخصائص التي تميز المجتمعات عن بعضها البعض. إلا أن هذه الدراسات لا يمكنها أن تقدم تفسيرا دقيقا لهذه الظواهر الاجتماعية بمعزل عن البيئة المادية لكل مجتمع؛ والتي تظهر في شكل المجال الفيزيقي الذي يختلف من مجتمع محلي لآخر، فالشكل المادي للمجتمع المحلي الحضري يختلف كليا عن شكل المجال المادي للمجتمع المحلي الريفي، وهذا نتيجة لاختلاف خصائص هذه المجتمعات وثقافتها وطبيعة نشاطها الاقتصادي. فلكل مجتمع خصوصيته التي تتجسد في سلوكاته وعلاقاته بأفراد المجتمع من ناحية، أو علاقته بالمجال الفيزيقي الذي يعيش فيه من ناحية أخرى، فالريفي يختلف عن غيره في علاقته بالمجال(الأرض)؛ لأنها تعد مكان للإقامة والسكن من ناحية ومصدر رزقه وثروته وعزوته بين أهله من ناحية أخري؛ إذ تتحدد مكانته في الجماعة التي ينتمي إليها من خلال مقدار ما يملك منها وكيف يستغلها. فمن خلال هذه الورقة البحثية أردنا أن نرصد أهم محددات استخدام المجال الفيزيقي، وعرض جملة من النظريات التي قدمت تفسيرات لسلوك الريفي في استغلال المجال الفيزيقي الذي يعكس ثقافته واهتماماته التي يجسدها على مستوى هذا المجال. ولقد وضحنا ذلك من خلال

*- المؤلف المرسل

الوقوف على خصائص المجتمع المحلي الريفي الاجتماعية والثقافية، الاقتصادية التي جاءت في المفهوم الذي حدد للوسط الريفي، بالإضافة إلى إبراز الأهمية العلمية والعملية لهذا النوع من الدراسات لكي يتأتى لنا الفهم الدقيق لما جاء في التراث النظري الذي تناول موضوع استخدام المجال بالتركيز على أسس ومحددات ذلك، مع توضيح بعض نقاط الضعف في النظريات؛ من خلال عرض جملة من الانتقادات الموجهة لها.

- **الكلمات المفتاحية:** المجال الفيزيقي، الوسط الريفي، استغلال المجال، نمط الإقامة، النظريات المفسرة.

- **Abstract:** The sociological studies vary with the diversity of the preferences and specializations of researchers in selecting their topics, which in turn reflect part of their scientific and cultural interests often. Most of the sociological studies on the topic of community development have focused in essence on the nature of the social, cultural and relational structure of individuals. These societies are so that they can explain some social phenomena such as the nature of family construction, family functions, the most important social systems such as marriage, the nature of economic activities, social problems and the control of the characteristics that distinguish societies from each other.

However, these studies cannot provide an accurate explanation of these social phenomena in isolation from the physical environment of each society; The physical form of the urban community is completely different from that of the rural community, due to the different characteristics, culture and nature of their economic activity.

Each society has its own privacy, which is reflected in its behavior and relations with members of society, on the one hand, or its relationship with the physical sphere in which it lives, on the other, the rural is different from the other in its relationship with the field (land), because it is a place of residence and housing on the one hand, and the source of its living, wealth and isolation and isolation among its people on the other; His position in the group to which he belongs is determined by how much he owns it and how it is exploited.

Through this paper, we wanted to monitor the most important determinants of the use of the physical field, and to present a series of theories that provided explanations of rural behavior in the exploitation of the physical sphere, reflecting its culture and interest at this level. We have made this clear by identifying the socio-economic characteristics of the rural community, which came in the concept of rural center. In addition, the scientific and practical importance of this type of study is highlighted so that we can accurately understand what came in the theoretical heritage that dealt with the use of the field by focusing on the bases and limitations of this, while clarifying some of the weaknesses of theories, by presenting a series of criticisms directed against them.

Keywords: Physical field, rural environment, exploitation of the field, mode of residence, explanatory theories.

1- مقدمة:

يعد المجال الفيزيقي هو الإطار المادي الذي يعكس ثقافة؛ أي بيئة اجتماعية متحضرة ريفية أو شبه حضرية، فلكل مجتمع مقوماته الثقافية وقيمه الاجتماعية التي يجسدها من خلال ممارسته اليومية وتفاعلاته فمنها ما هو معنوي يكون في شكل علاقات أو سلوكات يصعب أحيانا تكميمها وقياسها، أو مادي يمكن قياسه وينطبق هذا الكلام عن أسلوب أفراد المجتمع في استخدامهم للمجال الفيزيقي سواء للعمل أو للإقامة، فالمجال يلعب دورا حاسما في نشأة مراكز العمران البشري عموما، سواء اتخذت الشكل المدني أو الريفي أو البدوي، فهو الحيز (espace) الذي يعيش في حدوده عدد من الأفراد بشكل دائم أو مؤقت ويحاولون تحقيق أهدافهم على اختلافها، من خلال معيشتهم المشتركة فيه، حيث تعددت واختلفت التعريفات المتعلقة بفكرة الحيز (المجال) وتفاوتت، فبعضها فيزيقي بحت، وبعضها اقتصادي صرف والبعض الثالث اجتماعي ثقافي، يهتم بالتأثير المتبادل بين المجال والبناء الاجتماعي-الثقافي. (الكردي، ب س، ص37.) وبناء على ذلك نتساءل:

كيف يمكن أن تنعكس ثقافة الأفراد في استخدامهم للمجال الفيزيقي؟

وهذا ما تضمنته هذه الدراسة التي حاولنا من خلالها تحديد أهم أساليب أنماط استخدام المجال في الأوساط الغير حضرية؛ وبالتحديد الريفية؛ لأن نظرة ومكانة المجال الفيزيقي عند الريفي تختلف عما هو عليه الوضع في الأوساط الحضرية، وهذه حقيقة اجتماعية لا يختلف عنها اثنان،

فقد تضمن هذا العمل أهم أشكال استخدام المجال الفيزيقي بالوسط الريفي، بالإضافة إلى أهم النظريات التي تناولت نفس الموضوع؛ أي نظريات استخدام المجال في الوسط الريفي.

فقبل أن نتطرق إلى أنماط استخدام المجال في الوسط الريفي سوف نتكلم عن المجال كموقع من ناحية وكنتاج اجتماعي ثقافي من ناحية أخرى، فالمجال كموقع هو عبارة عن جزء من سطح الأرض، والذي يستخدم لمزاولة الأنشطة الإنسانية كالسكن والصناعة والترفيه والزراعة. (عثمان محمد غنيم، 2008، ص 18.)

ويتميز المجال بخصائص متعددة، تكون بمثابة المحفز أو المعيق لعملية استخدامه تعرف بمحددات استخدام المجال، سوف نتناولها بالشرح والتفصيل في الفقرات الموالية، أما المجال كنتاج اجتماعي-ثقافي فهو الإطار المادي الذي يعكس ويحتوي الخصائص اللامادية للمجتمع بكل وظائفه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية من خلال تفاعل الأفراد في حياتهم اليومية، ويتغير شكل المجال بتغير خصائص المجتمع فالمتغيرات المكانية تفسر كل ما يتعلق بحياة المجتمع المحلي وبنائه وتنظيماته وإمكانية نموه، وميكانيزمات التفاعل بين أفراده، فكل ما قدمه "بيرجس" ومن جاء بعده من نماذج مثالية للتنميط الإيكولوجي والمكاني للمدينة، هي محاولات تضمنت إبراز عدد من الخصائص، الاجتماعية ،والاقتصادية، والثقافية على أنها نتائج لمتغيرات المكان وخصائصه. (السيد، 1996، ص 244.)

- أهمية الدراسة:

إن بعد هذا الطرح لا يفوتنا أن نوضح أهمية هذا الدراسة التي تعد اجتهاد لتعميق فهم طبيعة البناء الخارجي للمجتمعات؛ أي الشكل المادي لكل مجتمع بحيث يعكس هذا الأخير طبيعة البناء الاجتماعي والطبقي والوظائف الاجتماعية لهذه المجتمعات؛ مما يسهل على الباحثين في مجالات مختلفة كعلم الاجتماع والاقتصاد والتخطيط فهم بعض الظواهر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية من أجل تفسيرها وإيجاد الحلول لها خاصة ما تعلق منها بالجانب الحياتي كمشكلات: السكن، النقل، البطالة... وغيرها من المشاكل التي تعيق نمو وتطور المجتمع.

3- أهداف الدراسة:

تتمثل جل أهداف هذه الدراسة العلمية في أهداف علمية تقوم على أساس النتائج الدقيقة المتوصل إليها من خلال الدراسات، وأهداف عملية تتمثل في إمكانية توظيف نتائج تفسير أنماط استخدام المجال في مجالات علمية وتطبيقية ترتبط في مضمونها في طبيعة وشكل المجال الفيزيقي، وهذا ما حاولنا تحقيقه من خلال هذه الدراسة والتي جاءت كمايلي:

1-3- الأهداف العلمية:

تتمثل الأهداف العلمية في البحث والدراسة من أجل الوصول إلى الدوافع الحقيقية لدى الأفراد داخل المجتمعات الغير حضرية التي تفسر أسلوبهم في تخطيط المجال الفيزيقي الذي يرسم الشكل النهائي لمحيطهم الاجتماعي والذي يؤثر بدوره في طبيعة العلاقات بين أفراد ذات المجتمع.

1-3- الأهداف العملية:

هذه الأخيرة يمكن أن نحددها من خلال إمكانية استغلال نتائج هذه الدراسة على أرض الواقع سواء من خلال فهم طريقة تخطيط المجال الفيزيقي للمجتمعات الغير حضرية دون المساس بخصوصية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يمكن أن تسهل نتائج مثل هذه الدراسات على الباحثين في رسم خطط وخلق آفاق للدفع بالمجتمعات إلى النمو والتطور الاجتماعي.

4- مفاهيم الدراسة:

1-4- مفهوم الوسط الريفي:

أ- الوسط الريفي لغة:

-**الْوَسَطُ:** جمع أَوْسَاطْ، محيط، بيئة، مجتمع يعيش فيه الإنسان ويتأثر به.(المنجد في اللغة العربية، 2000، ص 526)

- **الرِّيفِي:** رِيفْ، جمع أَرْيَافْ، مساحة من الأرض مكشوفة ومنبسطة فيها خصب، وزرع، قرية في الريف تطلق على ماعدا المدن وضواحيها في بلد ما الريف منطقة منعزلة.

- **رِيفِي:** خاص بالرّيف منسوب إليه، بساطة أهل الريف وطبيعتهم القنوعة يقال عادات ريفية. (المنجد في اللغة العربية، 2000، ص 370)

كل ما سبق ذكره عن الوسط الريفي يشير إلى أنه عن رقعة جغرافية يميزها وجود الزرع وخصوبة الأرض والوسط الريفي يختلف عن الوسط الحضري المتمثل في المدن، وكل ما هو ريفي ينسب إلى الريف؛ أي ما يعكس خصائصه فالريفي بسيط فتنوع وله عاداته التي تميزه عن الحضري.

ب- الوسط الريفي اصطلاحا:

من خلال التعاريف اللغوية للوسط الريفي والمقصود بها البيئة، أو المجتمع الريفي والذي يعبر عنه في علم الاجتماع الحضري بمصطلح المجتمع المحلي الريفي، لذا وقبل أن نتطرق إلى تحديد المفهوم الاصطلاحي للوسط الريفي لابد من ضبط مفهوم المجتمع المحلي الريفي، قبل ذلك يجب أن نتوقف أولا ونحدد مفهوم المجتمع المحلي لأنه مصطلح يستعمل للدلالة على نموذج أو نمط اجتماعي معين، ينظر إليه على أنه جزء من مجتمع أكبر، وقد يكون المجتمع المحلي ريفي أو

حضري، وهذا ما سوف نوضحه، لأن "المستعرض لتراث علم الاجتماع يستطيع أن يدرك على الفور أن هناك تميزا واضحا بين نوعين من المجتمعات هما المجتمع الريفي والمجتمع الحضري على وصف كل منهما بأنه مجتمع محلي"(السيد رشاد غنيم، 2008، ص51) إذا كنا نستعرض في هذا الجزء من الدراسة المجتمع مفهوم المحلي الريفي وأهم خصائصه، فلابد أولا من الوقوف على تعريف واضح ومحدد للمجتمع المحلي بصفة عامة.

حيث يرى البعض أن المجتمع المحلي عبارة عن جماعة من الناس يتميزون بخاصيتين رئيسيتين:

- يستطيع الفرد اكتساب خبرات وسلوك أكثر حيوية وأهمية بالنسبة إليه.
- أن المجتمع المحلي يفيد الأفراد المنتمين إليه بشعور خاص بالانتماء وأيضا الشعور بعضويتهم للجماعة التي تحميهم (غريب، 1973، ص45)

- في حين يرى البعض الأخر أن المجتمع المحلي عبارة عن جماعة اجتماعية من الأفراد الذين يعيشون في منطقة محدودة وتمتلك شعورا جماعيا ولذا توجد عناصر أساسية في المجتمع المحلي يجب توافرها هي (السيد، 2008، ص.53):
- المحدودة التي تعكس جانب من الخصوصية التي لا ترسخ العلاقات بدونها ولا يتطور الشعور المحلي.
- عاطفة المجتمع المحلي لأن الأفراد المجتمع المحلي يشتركون في اللغة والعرف والعواطف وأيضا الاتجاهات والمواقف؛ ولذا نعتبر عاطفة المجتمع المحلي ضرورية في امتلاك الناس للمجتمع.
- التشابهات نتيجة اشتراك الأفراد في طريفة الحياة العامة التي يظهر فيها الاتفاق بين الناس والتشابه في العادات والعرف.
- جماعة من الكائنات الإنسانية لأننا لا نستطيع تصور مجتمع بلا جماعة.
- الدوام والاستمرار لأن المجتمع المحلي ليس عابرا ولا مؤقتا ولكنه يتضمن حياة مستمرة في مكان محدد.
- الطبيعة؛ فالمجتمعات لا تنشأ بفعل رغبة الأفراد ولكن بفعل الطبيعة، فالفرد يولد في مجتمع محلي ويتطور بفعل تأثير هذا المجتمع.
- اسم خاص لكل مجتمع محلي تسمية خاصة تعبر عن سمة هذه المحلية.

كل هذا بالإضافة إلى العناصر الأساسية لقيام المجتمع المحلي، فإن الحياة المشتركة والاعتماد الذاتي من العوامل الضرورية لهذا المجتمع؛ ولهذا يرى "ماكيفر Maciver " أن المجتمع عبارة عن أي منطقة توجد فيها حياة مشتركة سواء كانت قرية أو مدينة صغيرة أو قطر حيث يكون

لها مجموعة من الخصائص التي يميزها عن أي منطقة (غنيم، 2008، ص.54) وفي هذا التعريف نلاحظ الجمع بين خصائص الفضاء الاجتماعي والفضاء الفيزيقي للمجتمع المحلي على اعتبار أن هذا الأخير هو مجال تظهر فيه كل خصائص الفضاء الاجتماعي وفي هذا السياق يقول "الدكتور عبد الرزاق أمقران" أنه:" يجب تجنب الخلط في تحديد مفهوم المجتمع المحلي الذي تتداخل فيه معاني الفضاء الاجتماعي والفضاء الفيزيقي"(آمقران، 2009، ص.130) وهو الشيء الذي لم يظهر في تراث الفكر السوسيولوجي المتعلق بتنميط المجتمعات على اعتبار أن المجتمع المحلي هو عبارة عن مزيج متداخل بين مجال جغرافي ونظام اجتماعي، كما سوف نوضح في مايلي:

حيث يرى روبرت بارك أن " المجتمع المحلي في أوسع معاني المفهوم يشير إلى دلالات وارتباطات مكانية جغرافية" (السيد، 2006، ص.33) .

والملاحظ هنا استناد كل "ماكيفر وروبرت بارك" في تعريفهم للمجتمع المحلي بشكل عام على الجانب الجغرافي المكاني باعتباره الإطار المادي لقيام المجتمعات، فلكل مجتمع موقع محدد يكون فيه لكل فرد مكان للإقامة والعمل والترفيه، حيث يتوزع الأفراد على امتداد هذه الرقعة الجغرافية ونجد أن "بارك" قد تجاهل الجوانب اللامادية للمجتمع المحلي كالثقافة، وأنماط التفاعل بين الأفراد، التي أبرزها "ماكيفر" في تعريفه أن " المجتمع المحلي يشير إلى أي منطقة تسود فيها حياة مشتركة قرية أو مدينة صغيرة بحيث تتحقق لها مجموعة خصائص تجعلها متميزة عن المناطق الأخرى"(غيث، د-ت، ص.47)

أما تعريف "تالكوت بارسونز": المجتمع المحلي " جمع أو حشد من أفراد يشتركون في شغل منطقة جغرافية أو مساحة مكانية واحدة كأساس لقيامهم بأنشطتهم اليومية "، وتعريف "بلين ميرسر": نجده يعرف المجتمع المحلي بأنه: " تجمع لأشخاص تنشأ بينهم صلات وظيفية ويعشون في منطقة جغرافية محلية خلال فترة محددة من الزمن، كما يشتركون في ثقافة عامة وينتظمون في بناء اجتماعي محدد، ويكشفون باستمرار عن وعي بتميزهم وكيانهم المستقل كجماعة "(السيد، 2006، ص.36).

من خلال تعريف كل من " ما كيفر " و" تالكوت بارسونز " و" بلين ميرسر"، نجد بأنهم ينظرون إلى المجتمع المحلي أنه مجموعة من الأفراد يقيمون، في منطقة جغرافية محددة ويتفاعلون فيما بينهم ويشتركون في ثقافة عامة منتمين إلى بناء اجتماعي واحد مما ينعكس في حياتهم اليومية ويميزهم عن باقي المجتمعات المحلية الأخرى فالملاحظ هنا أن التعريفات السابقة قد حاولت الجمع بين أهم العناصر المكونة للمجتمع المحلي كالموقع الجغرافي والثقافة العامة، والبناء الاجتماعي وأنماط التفاعل التي تميز أفراد المجتمع المحلي الواحد عن غيره، لكن يجب أن

ننظر إلى المجتمع المحلي على أنه نسبي في ضوء الجماعات الأخرى؛ أي أنه مسألة درجة من حيث الخصوصية والتمسك بالقيم الاجتماعية.

ومن بين أهم التعاريف المجتمع المحلي تعريف "خبراء الشؤون الاجتماعية للدول العربية "في مؤتمر القاهرة سنة 1955 فالمجتمع المحلي هو مجموعة من الأفراد يتميزون بطابع ثقافي مشترك بكل أو بعض الخصائص الآتية (رشوان، 2005، ص. 55):

- بقعة جغرافية ثابتة إلى حد كبير.
- مصالح اجتماعية واقتصادية مشتركة.
- مجموعة من العادات والتقاليد والروابط والقيم الاجتماعية تستثير فيهم الشعور والإحساس بالانتماء لمجتمعهم.

كما أضاف "بلنين ميرسر mercer Blanine" الذي عرف المجتمع المحلي بأنه:" تجمع للأشخاص تنشأ بينهم صلات وظيفية، ويعيشون في منطقة جغرافية محلية خلال فترة من الزمن، كما يشتركون في ثقافة عامة وينتظمون في بناء اجتماعي يكشف باستمرار عن وعي وتميز كيانهم المستقل كجماعة" (السيد، 2006، ص ص.7-8).

حيث نلاحظ أن هذا التعريف قد تعرض إلى أهم مميزات المجتمع المحلي المتمثلة في الموقع الجغرافي والحياة الاجتماعية والاقتصادية التي تتم في ظل عادات وتقاليد تجعل البناء الاجتماعي أكثر تماسك، من خلال إحساس الأفراد بالانتماء لمجتمعهم، خلال فترة زمنية معينة، فعامل الزمن مهم في تحديد مفهوم المجتمع المحلي.

في حين يعريف "السيد " المجتمع المحلي على أنه تجمع إنساني تقوم بين أعضائه روابط الاعتماد الوظيفي المتبادل ويشغل منطقة جغرافية محددة، ويستمر خلال الزمن عن طريق " ثقافة مشتركة تمكن الأفراد من تطوير أنساق محددة للاتصال، والإجماع فيما بينهما، كما تيسر لهم سبل التفاعل، وتنظيم أوجه نشاطاتهم اليومية " (السيد، 2006، ص.41) .

حيث نجد في هذا التعريف إثارة لكل النقاط الأساسية لتحديد مفهوم المجتمع المحلي، باعتباره كيان اجتماعي قائم على أساس التبادل الوظيفي بين الأفراد لتحقيق التكامل، والاكتفاء الذاتي، والتماسك الاجتماعي من خلال تنظيم العلاقات بين الناس وإشباع حاجاتهم حسب العادات والتقاليد والقيم المحلية، حيث يحدث كل ذلك في إطار جغرافي محدد يعتبر هو الأساس المادي لبناء المجتمع المحلي (المجال) لأنه يمد الإنسان بالغذاء والماء. فالمجتمع المحلي هو عبارة عن بناء ونسق اجتماعي وينظر إليه على أساس أنه بناء وديناميكية تشير إلى التفاعل وأنماط التغير. (رشوان، 2005، ص. 58).

كما جاءت أفكار أخرى تكميلية ظهر فيها تعريف واضح للمجتمع المحلي الريفي أهمها ما جاء عن " توماس شارب Tomas sharp " على أن القرية الزراعية هي بناء اجتماعي بسيط، كما أكد بعض الباحثين على أن المجتمع المحلي الريفي هو ذلك المجتمع الجزئي المحافظ على القديم ويعيش على استغلال الطبيعة بطريقة مباشرة ويرتبط أفراده فيما بينهم برابطة الدم والقرابة. (غنيم، 2008، ص.59).

الملاحظ أن التعريف الأول ركز على طبيعة البناء الاجتماعي للمجتمع المحلي الريفي الذي وصفه بالبساطة من حيث بساطة وحدات بنائه والمتمثلة في الأسرة الريفية، أما التعريف الثاني فقد ركز على أهم خصائص المجتمع المحلي الريفي التي يعتبر أساسها هو العلاقات الأولية القائمة على أساس روابط الدم والقرابة، بالإضافة إلى أنه مجتمع محافظ على العادات والتقاليد والقيم الريفية، وهو مجتمع مرتبط ارتباطا وثيقا بالطبيعة ويعيش منها.

وأضاف "محمد عاطف غيث "أن المجتمع المحلي الريفي هو مجتمع زراعي يتميز ببساطة التكنولوجيا وبتراث ثقافي مختلف عما يوجد في المجتمع الكبير الذي يكون جزءا منه وتعتبر المجتمعات المحلية الريفية غير متمدنة ولكنها تقع داخل مجتمع متمدن ومنظم سياسيا، وتكون جزءا من بنائه الاقتصادي والسياسي والديني (غيث، 2008، ص.321).

يرتكز تعريف "عاطف غيث" للمجتمع المحلي الريفي على أنه بيئة اجتماعية تتميز بالبساطة وعدم التكلف في متطلبات الحياة التي تعتبر من أهم خصائص أهل الريف بثقافتهم التي تختلف على الثقافة السائدة في المجتمع المحلي الحضري والمجتمع الكبير الذي يعتبر الريف جزءا منه ويكمله من الناحية الاقتصادية من خلال التبادل في المنتجات والجانب السياسي باعتبار المجتمع الريفي هو جزء من المجتمع الكبير يخضع بدوره للنظام العام والجانب الديني لأن الريفي أكثر تمسكا من الحضري بتعاليم الدين والعادات والتقاليد، والذي يميز هذا التعريف هو تركيزه عن الخصائص العامة للمجتمع المحلي الريفي وكتكملة لكل ما سبق نجد التعريف الذي جاء في معجم علم الاجتماع.

حيث يعرف هذا المعجم المجتمع المحلي الريفي على أنه مجتمع صغير منعزل أمي، متجانس يربط أعضائه إحساس قوي بالتضامن، وطرق الحياة فيه عبارة عن نسق ثقافي متلازم، والسلوك التقليدي شخصي وغير قابل للنقد، ولا يوجد فيه تشريع ولا عادات، وتجارب فردية أو تفكير من أجل هدف عقلي وتكون القرابة في هذا المجتمع وعلاقتها ونظمها هي نمط فئات الاختيار والجماعة العائلية هي وحدة العمل، وتسود فيه القدسية، كما يكون فيه الاقتصاد اقتصاد مكانة أكثر منه اقتصاد سوق " (أبو مصلح، 2006، ص. 423) يستند هذا التعريف إلى الخصائص العامة التي

تميز المجتمع المحلي الريفي عن المجتمع المحلي الحضري كالعزلة والتجانس والتضامن الاجتماعي الذي يظهر في المناسبات والظروف الخاصة للريفي، وما يميز كذلك غياب وسائل الضبط الاجتماعي الرسمي والدور الفعال للأسرة التي تقوم بجميع الوظائف الاقتصادية والتربوية والأخلاقية، وكذلك طبيعة العلاقات التي تربط بين الريفيين القائمة على أساس القرابة والمصلحة المشتركة، والاعتزاز بالأصل والمكانة العائلية.

ومن خلال التعاريف السابقة للمجتمع المحلي الريفي نجد أن أغلبيتها تناولت جزئيات خاصة بالموقع وطبيعة العلاقات أو حجم المجتمع، وهنالك من ذهب إلى تعريفه على أساس التقسيم الاقتصادي للمهن؛ حيث قسم الاقتصاديون الأعمال الاقتصادية إلى ثلاثة أقسام هي:

الصناعات الأولية؛ وهي التي تعمل على استخراج المادة الخام كالزراعة والصيد.

الصناعات التحويلية؛ وهي الصناعات التي تقوم على تحويل المادة الخام إلى أشكال صناعية أخرى مثل تحويل القطن.

المهن؛ وهي الخدمات التي ليست إنتاجية وطبقا لهذا التقسيم تعد المجتمعات الريفية هي المجتمعات التي يمتهن غالبية سكانها مهنة الصناعات الأولية كالزراعة والتعدين؛ والتي غالبا ما تظهر في المناطق ذات الكثافة السكانية القليلة ولا تستوعب هذه المهن أعدادا كبيرة من العاملين، كما هو الوضع في الصناعات التحويلية، كما لا يوجد أصحاب المهن الخدماتية القسم الثابت من التقسيم المهني إلا في التجمعات كبيرة العدد (فؤاد، 1981، ص. 372)

من خلال ما سبق ذكره نلاحظ أنه يمكننا أن نقدم مفهوم إجرائي دقيق للمجتمع المحلي الريفي، إذا تمكنا من جمع خصائصه وترتيبها بدقة؛ لكي تتمكن من سحب كل ذلك لتحديد المفهوم الإجرائي للوسط الريفي.

- **التعريف الإجرائي لمفهوم الوسط الريفي:** الوسط الريفي هو جزء من المجتمع الكبير، له خصائصه التي تميزه عن الوسط الحضري كالموقع الجغرافي بأراضيه الفلاحية وصغر حجمه وعزلته بعيدا عن المراكز الحضرية، يفتقر إلى التكنولوجيا ووسائل الاتصال والمواصلات، يتميز أفراده بالبساطة والتجانس وقلة الكثافة السكانية، والتضامن الاجتماعي والثقافة المشتركة تحكمهم العادات والتقاليد وارتباطهم بالأرض وامتهانهم للفلاحة كنشاط اقتصادي خلال فترة زمنية ومكان محدد لم يفقد خلالها خصائصه ولم يتأثر بعوامل التحضر المحيطة به.

4-2- مفهوم المجال:

أ- المجال لغة: جمع مَجَالاَتْ، المحل والمدى، الحقل والميدان (المنجد الأبجدي، د-ت، ص. 60).

ب- المجال اصطلاحا: تعددت المفاهيم الاصطلاحية للمجال بتعدد التخصصات والهيئات التي تناولت هذا المفهوم بالدراسة ومن بينها ما يلي:

- تعريف منظمة الأغذية والزراعة الدولية F.A.O:" المجال (الأرض) على أنها مساحة من سطح الأرض تشتمل على جميع العناصر الطبيعية والبيئية التي تؤثر على استخدام الأرض" (غنيم، 2008، ص. 18).

- التعريف الجغرافي للمجال: المجال هو المكان (الأرض) الذي يدخل في نطاق اختصاص دراسات علم الجغرافيا من حيث تحديد الخصائص الطبوغرافية والفيزيقية، والمناخية، وغيرها من العناصر الجغرافية" (بومخلوف، 2001، ص.15).

- التعريف الاقتصادي للمجال:" يختلف هذا المفهوم من مدرسة اقتصادية لأخرى فالبعض يقول بأنها هبة من الطبيعة بكل ما تشتمل عليه من موارد سطحية أو داخلية، ويذهب البعض إلى تصنيفها على أنها عنصر مهم من عناصر الإنتاج" (غنيم، 2008، ص. 18).

"المجال هو المكان الأصلي للتبادل والإنتاج" (Bastie et Degert, 1980, p.9) و"المجال عنصر حيوي بالنسبة للأنشطة الاقتصادية زراعية كانت أو صناعية من حيث المسافات والحواجز الطبيعية الفاصلة بين موقع المواد الأولية وأماكن الإنتاج، وأماكن تواجد اليد العاملة وأماكن التسويق والاستهلاك فيما يعرف باقتصاديات المجال" (بومخلوف، 2001، ص.52).

إن هذه التعاريف قد تنوعت ضيقا واتساعا فيما بينها، حيث نلاحظ أن منظمة الأغذية والزراعة الدولية F.A.O* قد ركزت في تعريفها للمجال على أنه جزء من سطح الأرض به ثروات طبيعية وبيئية يمكن استعمالها، بينما ينظر الجغرافيون للمجال على أنه موقع أو مكان فيزيقي له خصائصه الطبوغرافية والمناخية التي تتحكم في عملية التخطيط لاستعمال هذا الموقع في المستقبل من خلال عمليات مسح الأراضي بينما يرى الاقتصاديون المجال عنصرا حيوي وهام في عملية الإنتاج إذا توفرت به باقي العناصر التي تدخل في العملية الإنتاجية كاليد العاملة والمادة الخام والقرب من شبكة المواصلات لتوزيع الإنتاج بأقل تكاليف، فالمجال هو بمثابة السلعة الاستهلاكية يزيد عليها الطلب يوما بعد يوم للسكن والتوسع العمراني من جهة ولممارسة الأنشطة الاقتصادية الزراعية منها والصناعية من ناحية أخرى يغطي أيضا المحيط الاجتماعي للسكن المتكون من الممارسات والعلاقات والتمثيلات للعمل والسكن (آمقران، 2009، ص.152).

ج- التعريف الإجرائي لمفهوم المجال:

المجال هو المكان والموقع الفيزيقي، الذي يستوطن به الإنسان للسكن والترفيه، ويعد المورد الأساسي للأنشطة الاقتصادية الزراعية والصناعية، وهو عنصر مهم لقيام المجتمعات

واستمرارها عبر الزمان والمكان ريفية كانت أو حضرية تظهر فيها خصوصية المجتمعات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والتي يمكننا من خلالها توقع مستقبل هاته المجتمعات من خلال مدى استعدادها وقابليتها للنمو والتطور.

5- محددات استخدام المجال:

لكل مجال مقوماته وإمكانياته، وتتفاوت الأمكنة وتختلف من حيث الظروف التاريخية والجغرافية، كما تتباين من حيث الطاقات والأبنية الاجتماعية (بومخلوف،2001، ص. 53)، ومن هنا كان البحث في طبيعة المجال وظروفه أمرا ضروريا ولازما قبل التفكير في مسألة استخدامه للامتداد العمراني، (الكردي، د-ت، ص. 164). وكعنصر للإنتاج في الأنشطة الاقتصادية، فهذه المقومات قد تساعد أو تحد من احتمالات استخدام هذا المجال. والمحددات الأساسية لاستخدام أي مجال هي:

5- 1- العامل الطبوغرافي: وهو من بين أهم محددات استخدام المجال، حيث نجد الأفراد والمؤسسات بكل أنواعها الاجتماعية والاقتصادية تميل إلى اختيار المواقع السهلة القريبة من طرق النقل البري، وذلك تحقيقا لمبدأ سهولة الوصول إلى الموقع (غنيم، 2008، ص.43). وسهولة الاتصال بين الموقع الجديد والمناطق المحيطة به، من خلال وجود شبكة متكاملة للاتصالات مثل: الطرق، الشوارع، ونظم الاتصالات السلكية واللاسلكية ووسائل النقل والمواصلات (الكردي، د-ت، ص164). وهذا عكس ما كان سائدا في الماضي، حين كان الأفراد يميلون إلى اختيار المواقع القريبة من الأنهار والموانئ؛ التي كانت من أهم وسائل النقل في تلك الفترة أو المواقع المرتفعة التي توفر لهم الحماية.

5-2- عامل التربة: يعتبر هذا العامل وخصوصا ما تعلق بنوعية وتركيب التربة وبنيتها من العوامل المهمة المحددة للاستخدامات المتنوعة للمجال، فبنية التربة هي التي تحدد درجة تحملها للمباني المقامة عليها، فالمناطق التي تستغل لبناء مباني متعددة الطوابق لابد أن تمتاز تربتها ببنية قوية وقادرة على التحمل، ورغم أن التقدم التكنولوجي في مجال الإنشاءات والعمارة قد استطاع التغلب على عامل الضعف في بنية التربة إلا أن هذا العامل مازال حتى الوقت الحاضر يلعب دوراً لا يستهان به في تحديد وضبط طرق استخدام المجال (غنيم، 2008 ص.43).

5-3- النمط الفيزيقي للمجال: والمتمثل في مساحة الأرض وإمكانية تنفيذ المشاريع والامتدادات العمرانية على مستواها، إضافة إلى شكل التضاريس، ونوعية المناخ والطقس، وكافة الظروف الجغرافية، والعوامل الإيكولوجية المؤثرة في المكان وكل هذه المعطيات مجتمعة تعطي خصوصية للمجال الفيزيقي تتحدد من خلالها أنماط استخدامه.

4-5- عامل قيمة الأرض: تتأثر قيمة الأرض بجميع العناصر التي سبق ذكرها كالعوامل الطبوغرافية والفيزيقية ومكونات التربة حيث تبين من خلال العديد من الدراسات بأن قيمة الأرض تكون مرتفعة على مستوى المدن والمراكز الحضرية وذلك لتوفر المحددات الإيجابية لاستخدام المجال، كالموقع الجيد بالقرب من شبكة المواصلات وتوفر وسائل الاتصال بكل أنواعه ،ومكونات التربة التي تسمح بإنشاء السكنات أو الأنشطة الاقتصادية ...وتقل قيمة الأرض كلما اتجهنا إلى الأطراف أو بمرور الزمن، وتغير المراكز الحضرية في إطار إنشاء المدن الجديدة أو نقل عواصم الدول، وعلى هذا الأساس تصبح الأرض كسلعة خاضعة لقانون العرض والطلب، فالأرض مورد لم يبذل الإنسان أي جهد في إنتاجها وتكوينها فهي هبة من الله سبحانه وتعالى للإنسان، وهذا يعني عدم وجود تكاليف إنتاج خاصة بالأرض، لذلك فإنه من الصعب تحديد قيمة للأرض بشكل دقيق أو صحيح في كل الأحوال (أمقران،2009،ص. 97).

5-5- التخطيط الحضري: الذي يعتبر من العوامل التي تلعب دورا لا يستهان به في ضبط وتحديد أنماط استخدام المجال في الأوساط الحضرية المختلفة (غنيم، 2008، ص46)، وذلك للتحكم في التوسعات، والامتدادات العمرانية وتوجيهها من ناحية، ولخلق مناطق سكنية جديدة لتقليل الضغط السكاني على المراكز الحضرية من جهة أخرى فالتخطيط الحضري يمكنه أن يرفع من قيمة الأرض، ويجعل منها سلعة استهلاكية مطلوبة. وإذا كان ما سبق ذكره من عوامل تحدد وتتحكم في استخدام المجال بشكل عام، وفي الأوساط الحضرية بشكل خاص، فإن محددات استخدام المجال في الأوساط الريفية تتمثل في "مجموع العوامل الطبيعية من طبوغرافية ومناخ وتركيب صخري... إلخ؛ فهذه العوامل المسؤولة عن خصوبة التربة التي يرتبط بها نمط الاستخدام الزراعي بالدرجة الأولى وهي أيضا تشكل محددات وضوابط لاستخدامات الأرض الريفية".(Roncayolo, 1997, p. 105) كالسكن والفلاحة والرعي ...إلخ، فالعامل الأساسي لاستخدام المجال في الأوساط الريفية هو عامل خصوبة التربة، لأن هذه الأخيرة من أهم عناصر الإنتاج الفلاحي في الأوساط الريفية، وذلك لامتهان الريفيين للأعمال الفلاحية بالدرجة الأولى إذ لا يمكن أن ننكر ما للمجال وما يتاح فيه من موارد وما له من خصائص طبيعية، وما يتوفر فيه من وسائل النقل ودرجة العزل، أو البعد المكاني من تأثير واضح على توطين المجتمعات المحلية أو تطورها ونموها في اتجاهات معينة دون أخرى (السيد، 1996، ص. 246).

ويرجع ذلك لما يتضمنه المجال من إمكانيات لإشباع حاجات أفراده النفسية والاجتماعية، والاقتصادية مما يخلق قدرا من الارتباط بالحدود المكانية للمجتمع المحلي التي تخلق بدورها مشاعر الانتماء والولاء والهوية والكيان بالنسبة للأفراد، ويحدث هذا التوافق بين الأفراد وبيئتهم

بكل خصائصها ومتغيراتها من خلال ميراثهم الثقافي، ووسائل تكييف المجال لصالحهم، إلا أن التكنولوجيا في الوقت الراهن مكنت الإنسان من تشكيل المجال لإشباع حاجاته بتذليل الصعوبات التي تعيق استخدامه(السيد عبد العاطي السيد،1996، ص ص. 245-246) فالإنسان أصبح يخلق مجاله بما يتماشى مع احتياجاته ورغباته التي تتزايد وتتغير بتغير المقومات الاجتماعية والثقافية للأفراد والمجتمعات بتذليل كل العقبات الطبيعية التي تعيق استخدامه (غنيم، 2008، ص 21):

- باعتبار المجال موطن ومأوى للإنسان.
- كموطن ومأوى للنبات والحيوان.
- كمصدر أساسي لغذاء الإنسان والحيوان.
- كمصدر أساسي للمعادن والصخور وجميع الموارد والثروات الطبيعية التي تستخدم في صناعات مختلفة.

6- نظريات استخدام المجال الفيزيقي في الوسط الريفي:

للمجال في الأوساط الريفية أهمية كبيرة لا تقل عن أهميته في الأوساط الحضرية، وكما وجدت نظريات لتفسير أنماط استخدام المجال في المدينة كانت هناك نظريات أخرى تفسر أنماط استخدام المجال في الريف حيث تعكس هذه النظريات أنماط استخدام المجال في المجتمعات الأوروبية التقليدية التي تميزت في هذه المرحلة بنظام اقتصادها الزراعي، ومن أهم هذه النظريات ما يلي:

6- 1- نظرية الموقع الزراعي لـ: "فون تونن": انطلق (تونن) في بنائه لنظرية الموقع الزراعي من فرضية أساسها أن تكلفة الإنتاج تقل كلما زادت المسافة عن المدينة أو السوق، أي كلما ابتعدنا عن مكان المبادلات التجارية، في حين ترتفع تكلفة النقل، ونظرا لطبيعة العلاقة بين هذه المتغيرات، تحدد أنماط استخدام المجال الزراعي على شكل نطاقات دائرية حول مركز المدينة أو السوق، ولكي يتحقق (تونن) من افتراضه هذا وضع عدة افتراضات جزئية هي (غنيم، 2008، ص ص. 51-52).:

- تأخذ الدولة الشكل الدائري.
- الدولة منعزلة وليس لها أي علاقات مع الدول المجاورة.
- يتوسط هذه الدولة مدينة ترتبط بنهر صالح للملاحة ينتهي عند الحدود الخارجية للدولة، وهذه المدينة هي السوق الرئيسي لفائض المنتجات الزراعية.
- لا توجد وسائل نقل في هذه الدولة إلا بالعربات التي تجرها الخيول.

- تقوم الدولة في منطقة سهلة ومنبسطة
- الأراضي الزراعية في جميع أرجاء الدولة متجانسة في خصائصها الطبيعية.
- المزارعون في هذه الدولة عقلانيون ويحاولون تحقيق أقصى ربح ممكن.

والنتيجة المتوصل إليها أنه بتطبيق هذا النموذج تبين أن قيمة الأرض القريبة من السوق أكبر من قيمتها في المناطق البعيدة عن السوق، ويمكن التعبير عن الصيغة التي تتغير فيها قيمة الأرض بالبعد عن السوق كما يلي: قيمة الأرض = كمية الإنتاج × سعر السوق .تكاليف الإنتاج . أجرة نقل المحصول.

وقد توصل (تونن) إلى أن ربح المزارع يتناقص كلما زادت المسافة عن السوق، وبناء على ذلك افترض (تونن) ست نطاقات دائرية لاستخدام الأرض الزراعية حول المدينة (السوق) موزعة كالتالي (Jean Bastie et Bernard Degert, 1980, p 09):

1- نطاق زراعة الخضروات والأشتال وإنتاج الألبان وهي منتجات زراعية وحيوانية تتأثر صلاحيتها بعامل المسافة.

2- نطاق الغابات وإنتاج الأخشاب لأغراض التدفئة والوقود.

3- نطاق الزراعة الكثيفة للحبوب وبعض المحاصيل الأخرى.

4- نطاق زراعة حبوب بدورة زراعية تترك فيه الأرض بورا عاما واحدا كل ستة سنوات.

5- نطاق زراعة حبوب وفق دورة زراعية ثلاثية بحيث تترك الأرض بورا لمدة عام بعد زراعتها عامين متتاليين.

6- نطاق المراعي وتربية الحيوانات.

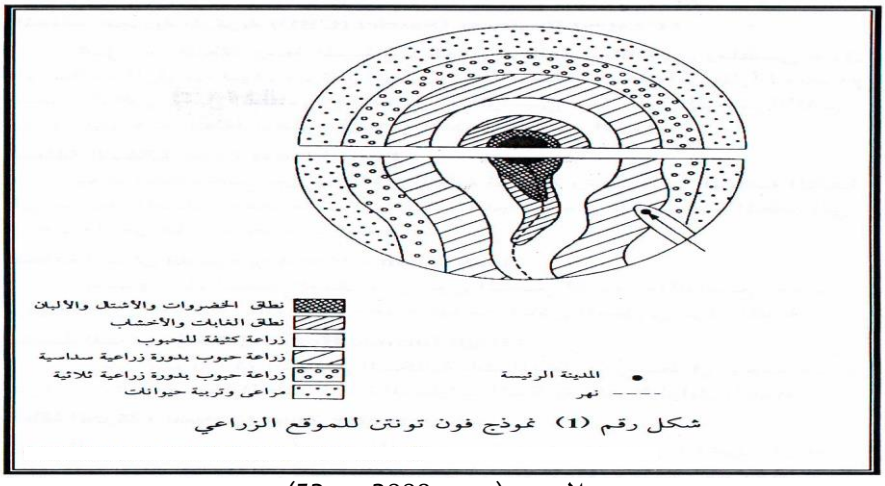

شكل رقم (1) نموذج فون تونتن للموقع الزراعي

المصدر (غنيم. 2008.ص.52)

- **نقد نظرية الموقع الزراعي:**

من بين الانتقادات التي وجهت إلى نظرية الموقع الزراعي لـ (تونن)

– أهملها لدور العوامل الطبيعية كالتربة والمناخ التي تتحكم في توزيع نوع المحاصيل الزراعية.

– افتراض هذه النظرية لوجود وسيلة نقل واحدة، وانتظام ارتفاع تكلفة النقل كلما زادت المسافة، وهذا ليس أمرا واقعيا.

– هناك أسباب كثيرة تحول دون ظهور النطاقات الزراعية التي افترضها (تونن) حول المدن، مثل وسائل النقل الحديثة وعلاقتها بالسوق وكذلك اختلاف الظروف الطبيعية التي افترضت النظرية تجانسها (غنيم 2008، ص. 53).

2-6- نظرية سنكلير (Sinclair):

افترض سنكلير نموذجا لأنماط استخدام المجال حول المدن يشبه إلى حد كبير نموذج (فون تونن) ويأخذ هذا النموذج شكل نطاقات دائرية لكل نطاق خصائصه التي تميزه عن النطاق الذي يليه، تتموج هذه النطاقات احيانا نظرا لتأثير طرق النقل والمواصلات عليها.

ورتب "سنكلير" نطاقات نموذجه كما يلي:

أ- نطاق الزراعة الحضرية: وهو عبارة عن أرض فلاحية تخضع لاستثمار الملاك، وأكثر أنواع الزراعات فيا هي الزراعات المحمية وتربية الدواجن.

ب- **نطاق الأراضي الفارغة والحشائش الموسمية:** ينظر أصحاب الأراضي إلى هذا النطاق على أنه سيخضع مستقبلا للتخطيط الحضري، وبالتالي ارتفاع ثمن الأرض في هذا النطاق، ولهذا السبب تترك أغلبية الأراضي بور ويزرع جزء منها بمحاصيل غذائية وقسم آخر يزرع بأعلاف المواشي والحيوانات(Bastie et Degert, 1980, p. 10) .

جـ- نطاق المحاصيل الحقلية والأعلاف: تستخدم الآلات الحديثة في الإنتاج الزراعي في هذا النطاق الذي تسود فيه زراعة الحبوب، ونظرا للطلب المتزايد على هذا النوع من المحاصيل أخذ هذا النطاق في التوسع على حساب النطاق الذي يليه، بغزو زراعة الحبوب من نطاق المحاصيل الحقلية إلى نطاق الألبان وبالتالي فهذا النطاق يعرف بامتداده وتوسعه الدائم.

د- نطاق الألبان والمحاصيل الحقلية: والمميز لهذا النطاق استخدامه للمساحات القريبة من السوق أو المدينة، وما يميز هذا النطاق إنتاج الألبان، أما المساحات الحقلية المتبقية فتزرع بالحبوب.

و- نطاق الأعلاف: وفيه تنتشر زراعة الأعلاف لتغذية الماشية والحيوانات. (عثمان محمد غنيم،2008، ص 56.)

- **نقد نظرية سنكلير:**

إن أهم انتقاد نوجهه لهذه النظرية، برغم تحديده للخصائص المميزة لكل نطاق، نلاحظ التداخل المتكرر لخصائص كل نطاق في النطاقات الأخرى حيث لا نجد فرقا كبيرا بينهما، فكل نطاق يحتوي على مساحات لزرع المحاصيل وتربية الحيوانات بكل أنواعها، فتتشابه النطاقات ويصعب الفصل فيما بينها.

إن التركيز في تحديد خصائص كل نطاق على نوعية التربة والمحصول الفلاحي والتجاهل الكلي للتواجد البشري وطبيعة الحياة الريفية التي تميز كل نطاق، كشكل المساكن والمسافات التي تفصل بينها، وشكل الطرق وتفرعاتها، وغيرها من المظاهر المميزة للحياة في الأوساط الريفية وهذا النقد موجه أيضا لنظرية الموقع الزراعي لـ (فون تونن).

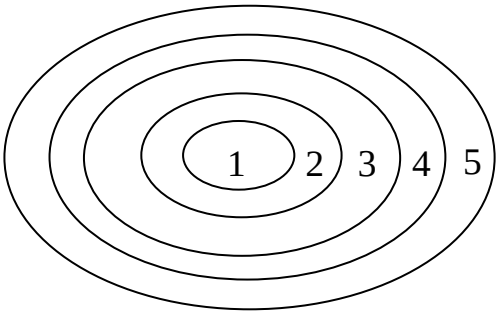

1- الزراعة الحضرية.
2- الأراضي الفارغة والحشائش.
3-المحاصيل الحقيلية والأعلاف.
4-الألبان والمحاصيل الحقلية.
5-الأعلاف.

الشكل رقم (02): يوضح نموذج سنكلير للاستخدام الزراعي.

المصدر (غنيم. 2008. ص.55).

7- أنماط الإقامة في الأوساط الريفية:

بعد الاطلاع على أهم النظريات التي تناولت موضوع استخدام المجال في الأوساط الريفية مقسمة المجال الريفي إلى نطاقات متنوعة بتنوع المزروعات والأنشطة الفلاحية التي تمارس على مستوى كل نطاق، فهذه النظريات أهملت جانبا مهما في الحياة الريفية هو نمط الإقامة أو التجمعات السكانية للريفيين واستخدامهم للمجال في هذا السياق، من حيث عدد المساكن وحجمها ونمط البناء وطبيعة المواد المستخدمة، وشكل الطرقات والمرافق المتوفرة وغيرها من متطلبات التجمعات السكانية التي تعكس بدورها خصوصية المجتمع الريفي، إذ لكل مجتمع ظروفه الخاصة التي تحدد طبيعة إقامة الأفراد به وفق أنماط معينة تتحدد وتتماشى مع الخصائص العامة لهذا المجتمع حيث نلاحظ أن نمط الإقامة في المدن مختلف تماما عن ما هو عليه في الريف ويظهر ذلك، من خلال حجم المساكن وشكلها التي تعكس المستوى الاقتصادي ،والمكانة الاجتماعية للأفراد، فمسكن المزارع البسيط مختلف في شكله وحجمه عن مسكن ملاك

الأراضي الفلاحية الواسعة والمستثمرون في مجال الفلاحة مما يدفعنا للقول أن أنماط الإقامة والتجمعات السكانية في الأوساط الريفية متعددة، ومختلفة أيضا كما هو الوضع في الأوساط الحضرية، ولتصنيفها سوف نعتمد على الحجم كمقياس لذلك فنرتبها كما يلي:

7- 1- نمط الإقامة في القرى: هي عبارة عن تجمعات سكنية تتميز بكثافة سكانية ضعيفة أين تكون المساكن متلاصقة، قليلة الارتفاع والشوارع ضيقة والأزقة والطرقات لا تخضع للتخطيط، وتتميز هذه القرى بقلة المرافق وإن وجدت فهي قليلة وهياكلها صغيرة وغير مجهزة وتكون الحياة في القرى بسيطة، بعيدة عن كل مظاهر الرفاهية.

ويعتبر نظام الإقامة في القرى من أقدم النظم التي عرفها الإنسان (الإمام، 2006، ص ص.55-56) حيث كانت منتشرة في الهند والصين منذ العصور القديمة، وفي جهات متفرقة من أوروبا وهناك من يرجع الجذور الأولى لظهور هذا النمط من الإقامة إلى جماعات الأقارب، التي تكون أسرا مركبة ذات أصل قرابي واحد تعيش مع بعضها البعض في شكل جماعي تحت رئاسة كبير الجماعة، وتتميز القرى بطابعها الجغرافي والاجتماعي والاقتصادي الذي يلعب دور كبير في المحافظة على شكلها العام (الإمام، 2006، ص56). ويمكننا أن نميز بين نوعين من القرى:

أ- قرية زراعية: وهي قرية ريفية صغيرة، تعتبر منطقة إقامة اسر المزارعين، التي تقع مزارعهم خارج القرية وتعتبر القرية الزراعية بمثابة مركز لحياة الأسرة ومكان للترفيه ومركز للمبادلات التجارية، أي مركز اجتماعي اقتصادي.

ب- قرية صناعية: هي قرية تحيط بها منطقة استزراع ريفية، ويعمل سكانها أساسا في مجال الصناعة، والقرية الصناعية ليست ريفية الطابع، على الرغم من صغر حجمها، ويتكون سكانها عادة من العمال الذين تنتظم حياتهم حول متطلبات الصناعة المحلية (أو مجموعة الصناعات الصغيرة) كتصنيع الغزل والنسيج أو التعدين أو قطع الأشجار أو الصناعات الغذائية (غيث،1997، ص ص508-509).

7- 2- نمط الإقامة في العزب: العزبة هي مكان إقامة ريفي صغير، أقل حجما من القرية، ولا يزيد عدد سكانها عن 250 نسمة، ويوجد في العزبة عادة محلان تجاريان ومكان للعبادة (مسجد)، وفي بعض الأحيان توجد مدرسة (أمقران، 2009، ص. 113).

وتعتبر العزبة من وجهة النظر الاجتماعية مجموعة صغيرة من الأسر تقيم معا في منطقة جغرافية محدودة، تسود بينهم الروابط القوية ويشعرون بالانتماء إلى هذه المنطقة، بحيث يعتمدون في اقتناء حاجاتهم الاقتصادية والاجتماعية على القرى والعزب المحيطة بهم، ويتأثر توزيع العزب وعددها بالظروف الطبيعية والاقتصادية والجغرافية من جهة، وعلى سياسة الدولة

من جهة أخرى، من حيث التوسع الزراعي بمنح أراضي للفلاحين للاستصلاح وسياسة تعمير المناطق المستصلحة، وما يميز العزب أنه لا توجد بغالبيتها منظمات اقتصادية واجتماعية والغياب الكلي للمرافق، نظرا لقلة الكثافة السكانية التي لا تسمح بإقامة هذا النوع من المرافق.

7- 3- نمط الإقامة في المزارع: وهو النمط الذي يعيش فيه الكثير من السكان الريفيين بمختلف دول العالم ويتضمن هذا النظام إقامة الأسر الريفية لمسكنها ومرافقها المزرعية على جزء من أرض المزرعة، واستغلال الجزء الباقي في إنتاج الزروع النباتية وتربية الحيوانات، وهذا النظام الذي ينتج لمحاولة الإنسان التكيف مع الظروف والعوامل الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية في البيئة التي يعيش بها، وأهم ما يميز هذا النمط من الإقامة ما يلي (الإمام، 2006، ص ص. 68-70):

- أوقات العمل المميزة، والتي تكون من وقت مبكر من النهار حتى أوقات متأخرة، وبالتالي توفر جهد الانتقال من مكان الإقامة إلى مكان العمل نظرا لقربه.

-زيادة المنتوجات الفلاحية ووفرتها، وتربية الحيوانات للاستهلاك أو لاستغلالها كنشاط اقتصادي تجاري في الأسواق الأسبوعية.

- الحرية الشخصية التي يتميز بها سكان المزارع في سلوكهم واتجاهاتهم لأن البعد بين السكان فتح المجال للإبداع والابتكار وبالمقابل الابتعاد عن المشكلات والنزاعات.

بعد تحديد أنماط الإقامة في الأوساط الريفية ميزنا ثلاثة أنماط للتجمعات البشرية في الريف ولكل نمط خصوصيته، من حيث حجمه ومناشطه، مما تجعله مختلف ظاهريا عن الأنماط الأخرى، إلا أن ما يميز طبيعة الحياة اليومية والتفاعل بين الأفراد يكاد لا يختلف، فالحياة تتميز بالبساطة والعلاقات الأولية المباشرة، والنشاط الاقتصادي المميز لسكان هذه القرى أو العزب أو المزارع هو الزراعة والأنشطة الفلاحية بكل أنواعها، والخاصية التي تشترك فيها الأنماط الثلاثة للإقامة في الأوساط الريفية هي العزلة المكانية، والبعد عن المراكز الحضرية، وإذا تكلمنا عن العزلة هنا، فنحن لا نقصد بها العزلة المكانية فقط ولكن نقصد بها أيضا العزلة الحضرية والثقافية التي تتجلى في الغياب الكلي لمظاهر الحضرية والتطور في هذه التجمعات البشرية الريفية على مستوى جميع مظاهر الحياة اليومية.

- خاتمة:

إن الاهتمام بالمجال كموقع قد ظهر في دراسات الجغرافيين، أما موضوع المجال كنتاج اجتماعي فهو محور الدراسة في علم اجتماع المجال، الذي يسعى إلى دراسة طبيعة العلاقات التفاعلية بين الإنسان والبيئة "فالإنسان لا يعيش إلا في مجال جغرافي والمجال الجغرافي بقيمته الاستخدامية الإنسانية، فهما عنصران متلازمان، الإنسان والأرض. المجتمع والمجال الجغرافي.

فالمجال يفرض نفسه ويساهم في تكوين أنماط معينة من العلاقات الاجتماعية كشكل من أشكال التكيف، لكن عندما تتكون تلك الأنماط من العلاقات تصبح تساهم بدورها في إنتاج ثقافة معينة وتساهم في تغير المجال لصالحها، أي إنتاج مجالها، وهكذا فالمجال هو إنتاج اجتماعي وثقافي". فلكل مجال مقوماته الخاصة التي تعرف بالعناصر المادية (المحددات) كالعامل الطبوغرافي وعامل التربة والنمط الفيزيقي العام للمجال وعامل قيمة الأرض وآفاق التخطيط الحضري لهذا المجال وفق الاحتياجات التي حددتها نظريات استخدام الأرض أو المجال حسب ميولات الأفراد وثقافتهم، فالمجال (الأرض) بالنسبة للفرد الريفي هي مكان للعمل ومصدر للرزق إذا كانت أرضا خصبة صالحة للزراعة، ومكان للإقامة أيضا؛ لأن الفرد الريفي يفضل أن يكون بالقرب من مكان عمله؛ نظرا لمتطلبات النشاط الزراعي والفلاحي ليأخذ المجال بذلك شكله النهائي الذي يعكس بدوره هذه البيئة الاجتماعية ومقوماتها الثقافية. وبناء على ذلك فإن شكل المجال يتحدد من خلال تكييف عناصره المادية وفق الاحتياجات الاجتماعية كالسكن والعمل والترفيه والزراعة وغيرها من متطلبات الحياة التي لا تخرج ولا تتعارض بأي شكل من الأشكال مع العناصر اللامادية للمجتمع، وهذا ما توضح لنا جليا في هذه الدراسة.

- قائمة المراجع:

- المنجد في اللغة العربية المعاصرة (2000). الطبعة1. بيروت. لبنان: دار المشرق.
- المنجد الأبجدي (د-ت). بيروت. لبنان الطبعة8. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- غنيم، السيد رشاد (2008). علم الاجتماع الريفي. الإسكندرية. مصر. الطبعة01، دار المعرفة الجامعية.
- السيد، عبد العاطي السيد (1996). الإنسان والبيئة والمجتمع. الإسكندرية. مصر. دار المعرفة الجامعية.
- الكردي، محمود. (د-ت). التحضر دراسة اجتماعية، الكتاب الثاني، الأنماط والمشكلات. دار المعارف.
- الإمام، السيد محمد. (2006). المجتمع الريفي رؤية حول واقعه ومستقبله. مصر. المكتبة العصرية.
- أمقران، عبد الرزاق. (2009). في سوسيولوجيا المجتمع (دراسات في علم الاجتماع). الطبعة01. جمهورية مصر العربية. المكتبة العصرية للنشر والتوزيع.
- بومخلوف، محمد (2001). التوطين الصناعي وقضاياه المعاصرة، الفكرية والتنظيمية والعمرانية والتنموية. الطبعة01. الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.
- غنيم، عثمان محمد (2008). تخطيط استخدام الأرض الريفي والحضري (إطار جغرافي عام). عمان. الأردن الطبعة02. دار الصفاء للنشر والتوزيع.
- علي، أحمد فؤاد (1981). علم الاجتماع الريفي. بيروت. لبنان. دار النهضة العربية.
- أبو مصلح، عدنان (2006). معجم علم الاجتماع. الطبعة. 01عمان. الأردن: دار أسامة. المشرق الثقافي للنشر والتوزيع.
- غنيم، عثمان محمد (2008). تخطيط استخدام الأرض الريفي والحضري (إطار جغرافي عام). الطبعة 02. عمان. الأردن: دار الصفاء للنشر والتوزيع.
- غريب، سيد أحمد (1973). المدخل في دراسة الجماعات الاجتماعية. الإسكندرية. مصر: دار الكتب الجامعية.
- غيث، محمد عاطف (1997). قاموس علم الاجتماع. الإسكندرية. مصر. دار المعرفة الجامعية.
- رشوان، حسين عبد الحميد أحمد (2005). علم الاجتماع الريفي. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة

- غيث، محمد عاطف (د-ت). علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري. بيروت. لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- غيث، محمد عاطف (1997). قاموس علم الاجتماع. الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- Bastie, Jean et Degert, Bernard.(1980) . L'espace urbain, Masson.Paris. New Yoek, Barcelone. Milan.
- Roncayolo, Marcel.(1997) . La ville et ses territoires. Édition Gallinard.